## المحاضرة الرابعة:

## التأسي بإبراهيم ومن معه في البراءة من الكافرين وحكم الكفار غير المحاربين (من الآية ٤ إلى الآية ٧) :

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) } [الممتحنة: ٤- ٦]

**أولا: سبب النزول:**

**ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:**

لما نهى سبحانه عن مُوالاةِ الكُفَّار ضرب لهم مثلا يقتدون به وهو براءة إبراهيم عليه السلام ومن معه من قومهم[١] .

**ثالثا: غريب الألفاظ:**

- **{أُسْوَةٌ}** قُدْوَةٌ وعبرةٌ ./

- **{بُرَءَاؤُا}** جَمعٌ على فُعلاءَ، مُفردُه بريءٌ، مِن (برِئ)، وأصلُ (برأ) هنا: يدُلُّ على التَّباعُدِ مِن الشَّيءِ ومُزايَلتِه

. **{بدا بيننا}** ظهر بيننا

- **{العداوة و: البغضاء}** العَداوةُ: اختِلافَ القُلوبِ والنِّيَّاتِ والتَّباعُدُ بها، مأخوذةٌ مِن عَدْوَتَيِ الجَبلِ، وهما طَرَفاه؛، وقيل: مِن عدا، أي: ظَلَم. والبُغضاءُ: البُغضُ، وهو نِفارُ النَّفْسِ عن الشَّيءِ الَّذي تَرغَبُ عنه، والعَداوةُ أخصُّ مِن البَغضاءِ؛ لأنَّ كلَّ عدُوٍّ مبغِضٌ، وقد يُبغَضُ مَن ليس بعَدُوٍّ **وقال ابن عاشور: العداوة** في الأفعال **والبغضاء:** في القلوب[٢].

-**{إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ}** أي ائْتَسُوا بأمر إبراهيمَ كلِّه إلا في استغفاره لأبيه، لأنه كان عن موعدة منه له[٣].

---

[١] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٩/ ١٥)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٩/ ٤٩٦) .

[٢] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦/ ١٤٨) .

[٣] غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤٦١) .

– **{أَنَبْنَا} رجعنا وهو من النَّوْب**: رجوع الشيء مرّة بعد أخرى، والمقصود هنا التوبة لله. أَنَبْنَا.

**{فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا}** الفِتنةُ في الأصلِ: الاختِبارُ والابتلاءُ والامتِحانُ، مأخوذةٌ مِن الفَتْنِ: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لتظهَرَ جَودتُه مِن رداءتِه، وتُطلَقُ الفِتنةُ على الضَّلالِ والشِّرْكِ والكُفرِ والشَّرِّ والعَذابِ.

بِعَذَابِكَ لَنَا، أَوْ تَسْلِيطِ الكُفَّارِ عَلَيْنَا.

{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} العزيزُ الَّذي يَغلِبُ ولا يُغلَبُ، الحَكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ.

– **{يَرْجُو اللَّهَ}** يَطْمَعُ فِي الخَيْرِ مِنَ اللهِ .

– **{يَتَوَلَّ}** يُعْرِضْ عَنِ الاِقْتِدَاءِ بِالأَنْبِيَاءِ، أو يكون المعنى: يُوَالِ أَعْدَاءَ اللهِ، وتولَّى إذا عُدِّي بـ (عن) لفظًا أو تقديرًا –كما هنا– اقتضَى معنى الإعراضِ، وإذا عُدِّي بنَفْسِه اقتَضَى مَعنى الوَلايةِ والقُرْبِ.

– **{الْحَمِيدُ}** المِحْمُودُ فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ: المحمودُ على كلِّ حالٍ، وفي جميعِ أفعالِه وأقوالِه، وشَرْعِه وقَدَرِه، والمحمودُ على ما لَه مِن الكَمالِ، وعلى نِعَمِه الَّتي أنْعَمها على خلْقِه، المستحِقُّ لكلِّ حَمْدٍ، والحمدُ إخبارٌ عن مَحاسنِ المحمودِ معَ حُبِّه وإجلالِه وتَعظيمِه، وقيل: هو أيضًا بمعنى حامِدٍ، يَحمَدُ كُلَّ مَن يَستحِقُّ الحَمدَ منه، وأصلُ (حمد): يدُلُّ على خِلافِ الذَّمِّ [٤] .

**رابعا: القراءات الواردة في الآيات:**

. (**أُسْوَة**) قرأها عَاصِم بِضَم الْهمزَة، وَقرأها الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا [٥] ؛ وهما لغتان فصيحتان معناهما واحد.

**خامسا: إعراب الآيات:**

– **{كان لكم}** لم تتصل بفعل "كان " تاء تأنيث مع أن اسمها مؤنث اللفظ (أسوة) لأمرين: **الأول**: لأن تأنيث أسوة غير حقيقي، والثاني: لوقوع الفصل بين الفعل و مرفوعه بالجار والمجرور (فيهم) .

– **{فتنة للذين كفروا}** يحتمل أن تكون من إطلاق المصدر على اسم المفعول فتكون معنى "**لا تجعلنا فتنة**" أي مفتونين يفتنهم الذين كفروا، إما بأن يتسلط عليهم الذين كفروا فيفتنون وإما بأن تختل أمور دينهم بسبب محبتهم للذين كفروا والتقرب منهم؛ واللام في{**للذين كفروا**} للملك، أي مفتونين مسخرين لهم.

---

[٤] المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٨٢٧) . السراج في بيان غريب القرآن، الخضيري (ص: ٣٣٨) .

[٥] تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري (ص: ٥١٢) .

ويجوز أن تكون {فتنة} مصدرا بمعنى اسم الفاعل، أي لا تجعلنا فاتنين، أي سبب فتنة للذين كفروا، فيكون كناية عن معنى لا تغلب الذين كفروا علينا فيفتتنوا في دينهم، ويزدادوا كفرا فيظنوا أنا على الباطل وأنهم على الحق، واللام على هذا الوجه لام التبليغ[٦].

**سادسا: الجوانب البلاغية:**

. {**رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**} تقديم ما حقه التأخير، لإفادة الحصر .

. {**لقد كان لكم فيهم**} أعيد للتأكيد، وليبنى عليه قوله {لمن كان يرجو الله واليوم الآخر} الخ .

. {**ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد**} وضمير الفصل في قوله (هو الغني) توكيد للحصر الذي أفاده تعريف الجزأين، وهو حصر مبالغة لعدم الاعتداد بغنى غيره ولا بحمده ، أي هو الغني عن المتولين.

. {(**الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ**) و (**قَدِيرٌ**) و (**غَفُورٌ رَحِيمٌ**) } صيغة مبالغة، لأنها على وزن فعيل .

. {**والله قدير**} تذييل، والمعنى: أنه شديد القدرة على أن يغير الأحوال فيَصيرَ المشركون مؤمنين صادقين وتصيرون أوِدَّاء لهم [٧] .

**سابعا: المعنى الإجمالي للآيات:**

قوله تعالى {**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**} من أهل الإيمان، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبا من عصره، ورجح ابن عطية[٨] هذا القول لأنه لم يرو أن إبراهيم كان له أتباع وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجرا من بلد النمرود: "ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك"[٩] . {**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ**} من المشركين {**إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ**} جحدنا وأنكرنا دينكم {**وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**} أمر تعالى حاطبًا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين في التبرّؤ من المشركين، {**إلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ لأسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**} أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي

---

[٦] [التحرير والتنوير ٢٨/ ١٤٨].

[٧] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/١٤٩- ١٥١)، والتفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ١٢٦) .

[٨] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٢٩٥) .

[٩] رواه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، باب قول الله تعالى { واتخذ الله إبراهيم خليلا }، رقم: ٣١٧٩ .

قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤]

وقوله {وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} ، يقول إبراهيم لأبيه: ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به .

قوله تعالى {رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب وترضى. {وإليك المصير} يقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العرض، وقوله { رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا} أي: لا تظهرهم علينا فيظنّوا أنهم على الحقّ فيفتتنوا، وقال مجاهد: لا تعذّبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحقّ ما أصابهم ذلك، وعن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا، وقوله {وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي[١٠] .

قوله تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ}، أي: في إبراهيم ومن معه، {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}، هذا بدل من قوله {لَكُمْ}، وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة، {وَمَن يَتَوَلَّ} يُعرض عن الإيمان ويوالي الكفار، **{فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ }** عن خلقه، **{الْحَمِيدُ}** إلى أوليائه وأهل طاعته . قال ابن كثير: وقوله تعالى "ومن يتولّ"، أي: عما أمره الله به **{فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}** (**الغني**) قال ابن عباس: (الغنيّ الذي قد كمل في غناه وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤ وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، **و**(**الحميد**) المستحمد إلى خلقه، أي: هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا ربّ سواه) .

**قوله تعالى {عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً)** أي: من كفار مكة مودّة، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخوانًا وخالطوهم وناكحوهم ولك أنه لما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنين أقرباؤهم المشركين وأظهروا لهم العدواة والبراءة، فعلم الله شدّة وجد المؤمنين بذلك، فأنزل الله {عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم}.

**{ والله قدير }** على جعل المودة **{ والله غفور }** لهم **{ رحيم }** بهم بعدما أسلموا[١١] .

---

[١٠] ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٥٦٧ – ٥٦٨)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٥٤)، وتفسير البيضاوي (ص: ٣٢٧) .

[١١] ينظر تفسير هذه الآيات: تفسير ابن كثير (٨/ ٨٨)، وتوفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل آل مبارك (٤/ ٢٦٠-٢٦١) .

يذكرُ الله تعالى جانبًا مِن قصَّةِ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- ويأمُرُ بالاقتِداءِ به، فيقولُ تعالى: قد كانت لكم -أيُّها المؤمِنونَ- قُدوةٌ صالِحةٌ في إبراهيمَ والَّذين معه مِن المؤمِنينَ، حينَ قالوا لِقَومِهم المشرِكينَ: إنَّا نتبَرَّأُ منكم ومِمَّا تَعبُدونَ مِن دونِ اللهِ، كفَرْنا بكم، وظهَرَ بيْنَنا وبيْنَكم العداوةُ والكراهيةُ أبدًا إلى أن تُؤمِنوا بالله وَحْدَه، إلَّا قَولَ إبراهيمَ لأبيه المشرِكِ: لَأستَغفِرَنَّ لك اللهَ؛ فلا تتَأَسَّوا به في هذا القَولِ؛ إذ لا ينبغي لأحَدٍ أن يَستَغفِرَ للمُشرِكينَ ولو كانوا ذَوِي قُرْبَى. قال إبراهيمُ عليه السَّلامُ لأبيه: والحالُ أنِّي لا أدفَعُ عنك عُقوبةَ اللهِ.

ثمَّ يخبرُ الله تعالى عن قولِ إبراهيمَ والَّذين معَه، حينَ فارَقوا قومَهم وتبرَّؤوا منهم، فلَجَؤوا إلى الله وتضرَّعوا إليه، فقالوا: رَبَّنا عليك وَحْدَك توَكَّلْنا، وإليك وَحْدَك تُبْنَا، وإليك مَرجِعُنا في الآخِرةِ، يا ربَّنا لا تُسلِّطْهم علينا فيَفْتِنونا، ويُميلونا عمَّا نحن عليه مِن الحقِّ، ويُفتَنونَ أيضًا بأنفُسِهم؛ فإنَّهم إذا رأوا لهم الغلَبةَ ظنُّوا أنَّهم على الحقِّ وأنَّا على الباطلِ، فازدادوا كفرًا وطغيانًا، وامْحُ عنَّا ذُنوبَنا يا رَبَّنا؛ إنَّك أنت العزيزُ الَّذي لا يُغلَبُ، الحكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه اللَّائِقِ به.

ثمَّ يكرِّرُ الله تعالى الحثَّ لهم على الاقتداءِ بهم، فيقولُ: لقد كان لكم -أيُّها المؤمِنونَ- قُدوةٌ صالِحةٌ في إبراهيمَ ومَن معه مِن المؤمِنينَ؛ لِمَن يرجو رِضوانَ اللهِ والنَّجاةَ مِن عَذابِه، ومَن يُعرِضْ عن طاعةِ اللهِ والتَّأسِّي برُسُلِه، فإنَّ اللهَ هو الغَنيُّ المحمودُ في ذاتِه وأسمائِه وصِفاتِه.

**ثامنا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:**

١- وجوب الاقتداء بالصالحين والتأسي بهم في الصالحات .

٢- جعل الله إبراهيم الخليل عليه السلام أسوة حسنة للمؤمنين في التبرؤ من الكفار، فعلى من آمن بالله ورسوله الاقتداء به إلا في استغفاره لأبيه، فلا يتأسون به في الاستغفار للمشركين، لأنه كان عن موعدة منه له .

٣- صرح إبراهيم عليه السلام ومن آمن معه بسبب البراءة من الكفار وهو: كفرهم بالله وإيمانهم بالأوثان، وستظل العداوة والبغضاء قائمة في القلوب على الدوام بين المؤمنين وغيرهم ما دام هؤلاء الكفار على كفرهم، حتى يعلنوا إيمانهم بالله وحده لا شريك له، فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة .

٤- حرمة موالاة الكافرين ووجوب معاداتهم ولو كانوا أقرب قريب .

٥- كل عداوة وبغضاء تنتهي إذا رجع العبد إلى الإيمان والتوحيد بعد الكفر والشرك .

٦- لا يجوز الاقتداء في غير الحق والمعروف فإذا أخطأ العبد الصالح فلا يتابع على الخطأ .

٧- وجوب تقوية المؤمنين بكل أسباب القوة لأمرين؛ **الأول:** خشية أن يغلبهم الكافرون فيفتنوهم في دينهم ويردوهم إلى الكفر، والثاني: حتى لا يظن الكافرون الغالبون أنهم على حق بسبب ظهورهم على المسلمين فيزدادوا كفراً فيكون المسلمون سبباً في ذلك فيأثمون للسببية في ذلك[١٢] .

-1قَولُ الله تعالى :قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ فيه وُجوبُ الاقتِداءِ بإبراهيمَ ومِلَّتِه إلَّا ما ثبت في شَرعِنا نَسْخُه وقد استُدِلَّ به على أنَّ شَرْعَ مَن قَبْلَنا شَرْعٌ لنا ما لَمْ يأتِ شَرْعُنا بخِلافِه، ونحن نَتَّبعُ شَرْعَ مَن قَبْلَنا؛ لا لأنَّه شَرْعُ مَن قَبْلَنا، ولكنْ لأنَّ شَرْعَنا دَلَّنا على العَمَلِ به . فالآيةُ نصٌّ في الأمرِ بالاقتِداءِ بإبراهيمَ صلَّى الله عليه وسلَّم في فِعلِه، وذلك يُصحِّحُ أنَّ شرْعَ مَن قبْلَنا شرعٌ لنا فيما أخبَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ورسولُه صلَّى الله عليه وسلَّم. وَهَذَا نَصٌّ فِي الِاقْتِدَاءِ بِإِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – فِي فِعْلِهِ، وَهَذَا يُصَحِّحُ أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ عَنْهُمْ. أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية ٤/ ٢٢٧أمَر اللَّهُ بالتأسِّي بإبراهيمَ وما هو عليه ومَنْ معه مِنْ توحيدٍ وسُنَّةٍ، في تعامُلِهم مع المشرِكينَ، وظاهرُ الآيةِ: أنَّ التأسِّيَ بهم في أصولِ الدِّينِ كما هو ظاهرِ السِّياقِ، واتِّباعُ الأنبياءِ في الأُصولِ ممَّا لا خلافَ فيه، وإنَّما الخلافُ في الشرائعِ. التفسير والبيان لأحكام القرآن ٤/ ٢١٣١

## المقطع الثاني

**قوله تعالى {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)}**

**أولا: سبب النزول:**

**لم يرد سبب صريح للنّزول في هذه الآيات.**

ولكن ذكر الواحدي أنه لما نزل قوله تعالى{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الممتحنة: ٤] عادى المؤمنون أَقْرِبَاءَهُمُ الْمُشْرِكِينَ فِي

[١٢] ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ٣٢٦) ، والتفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ١٣١) .

اللَّهِ، وَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى شِدَّةَ وَجْدِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ سبحانه{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ....} [الممتحنة: ٧] ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ بِأَنْ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَصَارُوا لَهُمْ أولياءَ وإخواناً، فخالطوهم وَنَاكَحُوهُمْ، وَتَزَوَّجَ رسول اللَّه ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ[١٣] .

وقد ردّ ابن عطية هذا وقال ليس سببا لنزول الآية إنما هو مجرد مثال سيق لتفسيرها ليفهم معناها[١٤].

١ – أخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قالت: أتتني أمي راغبةً، في عهد النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فسألت النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: آصِلُها؟ قال: (نعم). قال ابن عيينة: فأنزل اللَّه تعالى فيها: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) [١٥].

٢ – وأخرج أحمد عن عبد اللَّه بن الزبير قال: قدمت قَيْلة ابنت عبد العزى بن عبد أسعد – من بني مالك بن حِسْل – على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر بهدايا ضباب وأقط وسمن – وهي مشركة – فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فأنزل اللَّه – عَزَّ وَجَلَّ –: {**لَا ينهاكم الله** }.[١٦] .

**ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:**

بعد النهي عن موالاة الكافرين، والحث على القطيعة بالتأسي بإبراهيم ومن معه، ثم تهوين الأمر على المؤمنين بإخبارهم أن الله قادر على تغيير أوضاع المشركين من الكفر إلى الإيمان، رخّص الله تعالى في صلة الذين لم يقاتلوا المؤمنين من الكفار، ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يعاونوا على إخراجهم [١٧] .

**ثالثا: غريب الألفاظ:**

– **{تَبَرُّوهُمْ}** تُكْرِمُوهُمْ .

– **{وَتُقْسِطُوا}** تَعْدِلُوا فِيهِمْ ، والمقسطون هم العادلون .

– **{وَظَاهَرُوا}** عَاوَنُوا .

– **{أَن تَوَلَّوْهُمْ}** أَنْ تَنْصُرُوهُمْ، وَتَوَدُّوهُمْ [١٨] .

---

[١٣] أسباب النزول، للواحدي (ص: ٤٤٣) .

[١٤] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تفسير، لابن عطية (٥/ ٢٩٦) .

[١٥] صحيح البخاري

[١٦] رواه أحمد في مسند عبد الله بن الزبير، (٢٦/ ٣٧) ، برقم: ١٦١١١ . المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ٢/ ٩٩١

[١٧] التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١٣٥) .

[١٨] ينظر: المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني(ص: ٥٤٠) ، والسراج في بيان غريب القرآن (ص: ٣٣٩) .

**رابعا: إعراب الآيات:**

وقوله: {أن تبروهم} بدل اشتمال من {الذين لم يقاتلوكم في الدين ...} أي لا ينهاكم عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم.

**خامسا: الجوانب البلاغية:**

. **{لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ... إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ}** القصر المستفاد من جملة "إنما ينهاكم الله" إلى آخرها قصر قلب لرد اعتقاد من ظن أو شكَّ في جواز صلة المشركين على الإطلاق .

. **{(لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) –مع–(إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ)}** بينهما طباق السلب .

. **{فأولئك هم الظالمون}** قصر مبالغة، أي: أن ظلمهم لشدَّته ووقوعه بعد النهي الشديد والتنبيه على الأخطاء والعصيان ظلم لا يغفر لأنه اعتداء على حقوق الله وحقوق المسلمين وعلى حق الظالم نفسه[١٩].

**التفسير التفصيلي:**

**مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:**

قال تعالى: **{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }** لَمَّا أتَمَّ اللهُ تعالى وَعْظَهم بما هو الأنفَعُ والأقرَبُ إلى صَلاحِهم، ففَعَلوا، وكان ذلك شاقًّا؛ لِمَا جُبِلَ عليه البَشَرُ مِن حُبِّ ذَوِي الأرحامِ والعَطْفِ عليهم، فتشَوَّفَت النُّفوسُ إلى تخفيفٍ بنَوعٍ مِنَ الأنواعِ- أتْبَعَه التَّرجِيةَ فيما قَصَدَه حاطِبٌ -رَضِيَ اللهُ عنه- بغيرِ الطَّريقِ الَّذي يُتوصَّلُ به، فقال: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً}.أي: عسى اللهُ أن يَجعَلَ بيْنَكم -أيُّها المؤمِنونَ- وبيْنَ الَّذين عاديتُم مِن المشرِكينَ مودَّةً بعدَ النفرةِ والعداوةِ والبَغضاءِ الَّتي انعقَدَت بيْنَكم، وذلك بأن يَنتَقِلوا للإيمانِ؛ فلا تيأسُوا مِن إيمانِهم. عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت)) :جاءت هندُ بنتُ عُتبةَ، قالت: يا رَسولَ اللهِ، ما كان على ظَهرِ الأرضِ مِن أهلِ خِباءٍ أحَبَّ إلَيَّ أن يَذِلُّوا مِن أهلِ خِبائِك، ثمَّ ما أصبَحَ اليَومَ على ظَهرِ الأرضِ أهلُ خِباءٍ أحَبَّ إلَيَّ أن يَعِزُّوا مِن أهلِ خِبائِك، قال: وأيضًا والَّذي نَفْسي بيَدِه/(

---

[١٩] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ١٥٣- ١٥٤ )، والتفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ١٣٤) .

وعن ابنِ شِهابٍ، قال)) :أعطى رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَ حُنَينٍ صَفوانَ ابنَ أُمَيَّةَ مِئةً مِنَ النَّعَمِ، ثمَّ مِئةً، ثمَّ مِئةً، قال ابنُ شِهابٍ: حَدَّثني سعيدُ بنُ المسَيِّبِ أنَّ صَفوانَ قال: واللهِ لقد أعطاني رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما أعطاني، وإنَّه لَأبغَضُ النَّاسِ إلَيَّ، فما بَرِحَ يُعطيني حتَّى إنَّه لَأحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ"

. وَاللَّهُ قَدِيرٌ} أي: واللهُ ذو قُدرةٍ تامَّةٍ بالغةٍ على كُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك قُدرتُه على جَعْلِ العَداوةِ الَّتي بَيْنَكم وبيْنَ المشرِكينَ مَودَّةً، فيَهديهم للإيمانِ، ويُؤَلِّفُ بيْنَ قُلوبِكم

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. أي: واللهُ غفورٌ لذُنوبِ عِبادِه؛ فيَستُرُها ويَمحوها ويَقِي شَرَّها، رحيمٌ بهم؛ فيَغفِرُ للكافِرينَ كُفْرَهم إذا تابُوا، ويَرحَمُهم. كما قال تعالى :قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] الزمر: ٥٣ [.

**{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:أنَّ اللهَ تعالى بَعْدَ ما ذَكَر مِن تَرْكِ انقِطاعِ المؤمِنينَ بالكُلِّيَّةِ عن الكُفَّارِ؛ رخَّصَ في صِلةِ الَّذين لم يُقاتِلوهم مِنَ الكُفَّارِ.

وأيضًا لَمَّا نَزَلت هذه الآياتُ الكريماتُ المهَيِّجةُ على عداوةِ الكافِرينَ، وقَعَتْ مِن المؤمِنينَ كُلَّ مَوقِعٍ، وقاموا بها أتمَّ القيامِ، وتأثَّموا مِن صِلةِ بَعضِ أقارِبِهم المشرِكينَ، وظَنُّوا أنَّ ذلك داخِلٌ فيما نَهَى اللهُ عنه ؛ فقال الله تعالى: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ.

أي: لا يَنهاكم اللهُ –أيُّها المؤمِنونَ– عن الكافِرينَ الَّذين لم يُقاتِلوكم مِن أجْلِ دينِكم؛ مِن أقارِبِكم وغَيرِهم مِن الكُفَّارِ، ولم يُخرِجوكم مِن بلادِكم كما أخرَجَكم كُفَّارُ مَكَّةَ؛ أن تُحسِنوا إليهم وتُكرِموهم، وتَعدِلوا في تعامُلِكم معهم عدلًا تامًّا. كما قال تعالى في الوالِدَينِ الكافرَينِ :وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا] لقمان: ١٥ [.وعن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال)) :كان غُلامٌ يَهوديٌّ يَخدُمُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فمَرِضَ، فأتاه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَعودُه، فقَعَد عندَ رأسِه، فقال له: أسْلِمْ، فنظَرَ إلى أبيه وهو عندَه، فقال له: أطِعْ أبا القاسِمِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأسْلَمَ، فخرجَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو يقولُ: الحَمدُ للهِ الذي أنقَذَه مِنَ النَّارِ. ((وعن أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قالت)) :قدِمَتْ عليَّ أمِّي وهي مُشرِكةٌ، في عَهدِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فاستَفتيتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قُلتُ: وهي راغِبةٌ ، أفأصِلُ

أُمِّي؟ قال: نعمْ، صِلِي أُمَّكِ. ((

**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**.أي: إنَّ اللهَ يُحِبُّ المنصِفينَ الَّذين يُنصِفونَ النَّاسَ، ويُعطونَهم الحقَّ، ويَحكُمونَ بَيْنَهم بالعَدلِ التَّامِّ. كما قال تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ] النساء: ١٣٥ [.وقال سُبحانَه :وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى] المائدة: ٨ [. وقال عزَّ وجَلَّ :وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] المائدة: ٤٢ [. وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنَّ المُقْسِطينَ عندَ اللهِ على مَنابِرَ مِن نُورٍ عن يمينِ الرَّحمنِ عزَّ وجَلَّ، وكِلْتا يَدَيه يَمينٌ؛ الَّذين يَعدِلونَ في حُكمِهم وأهلِيهم وما وَلُوا. ((

وعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال)) :ما منَعَني أن أشهَدَ بَدرًا إلَّا أنِّي خرَجْتُ أنا وأبي حُسَيلٌ، قال: فأخَذَنا كُفَّارُ قُرَيشٍ، قالوا: إنَّكم تُريدونَ مُحمَّدًا! فقُلْنا: ما نُريدُه، ما نُريدُ إلَّا المدينةَ، فأخَذوا مِنَّا عَهدَ اللهِ ومِيثاقَه لَنَنصرِفَنَّ إلى المدينةِ، ولا نُقاتِلُ معه، فأتَيْنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأخبَرْناه الخَبَرَ، فقال: انصَرِفا، نَفِي لهم بعَهْدِهم، ونَستعينُ اللهَ عليهم. ((!

**{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ. أي: إنَّما يَنهاكم اللهُ –أيُّها المؤمِنونَ– عن الكافِرينَ المحارِبينَ الَّذين ناصَبوكم العَداوةَ، فقاتَلوكم بسبَبِ إيمانِكم برَبِّكم.

**وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ**.أي: وأخرَجوكم مِن بلادِكم، وعاوَنوا غَيرَهم على إخراجِكم. **أَنْ تَوَلَّوْهُمْ**.أي: أن تتوَلَّوهم، فتَكونوا لهم محِبِّينَ مُناصِرينَ.

**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**.أي: ومَن يتَّخِذِ الكافِرينَ أولياءَ يُحِبُّهم ويُناصِرُهم، فأولئك هم الظَّالِمونَ الَّذين وَضَعوا الموالاةَ في غيرِ مَوضِعِها، وعرَّضوا أنفُسَهم لعذابِ اللهِ تعالى؛ كما قال تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] المائدة: ٥١ [.

**الناسخ والمنسوخ**

قيل إن هذه الآية منسوخة؛ بقوله ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥].

وقيل: هذا الحكم كان ثابتاً في الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش، فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم، وحكى القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنها محكمة وليست منسوخة[٢٠] ، وهو الأصح والأولى لأن الأصل عدم النسخ إلا بدليل قال الطبري:" ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب، غير محرم ولا منهي عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب، على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، وقد بين صحة ما قلناه الخبر في قصة أسماء وأمها. انتهى..[٢١] .

**المعنى الإجمالي للآيات:**

يقولُ تعالى مبشِّرًا بأنَّه يَهدي إلى الإسلامِ قومًا مِن الأعداءِ الَّذين تربطُهم بالمؤمنينَ رابطةُ الدَّمِ والقرابةِ: عسى اللهُ أن يَجعَلَ بيْنَكم -أيُّها المؤمِنونَ- وبيْنَ الَّذين عادَيْتُم مِن المشرِكينَ موَدَّةً بعدَ العداوةِ والبَغضاءِ الَّتي انعقَدَت بيْنَكم، واللهُ ذو قُدرةٍ تامَّةٍ على كُلِّ شَيءٍ، واللهُ غفورٌ لذُنوبِ عِبادِه، رحَيمٌ بهم. ثمَّ يُبيِّنُ سبحانَه للمؤمنينَ القاعدةَ الَّتي يَسيرونَ عليها في موَدَّتِهم وعداوتِهم، وصِلَتِهم ومقاطعتِهم، فيقولُ: لا يَنهاكم اللهُ -أيُّها المؤمِنونَ- عن الكافِرينَ الَّذين لم يُقاتِلوكم مِن أجْلِ دينِكم، ولم يُخرِجوكم مِن بلادِكم؛ أن تُحسِنوا إليهم وتُكرِموهم، وتَعدِلوا في تعامُلِكم معهم؛ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المنصِفينَ، إنَّما يَنهاكم اللهُ عن مُوالاةِ الكافِرينَ المحارِبينَ الَّذين قاتَلوكم بسبَبِ إيمانِكم، وأخرَجوكم مِن بلادِكم، وعاوَنوا غَيرَهم على إخراجِكم، ومَن يتَّخِذِ الكافِرينَ أولياءَ يُحِبُّهم ويُناصِرُهم فأولئك هم الظَّالِمونَ.

**سابعا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:**

. قَولُ الله تعالى :**{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** فيه إشارةٌ إلى الاقتِصادِ في العَداوةِ والوَلايةِ (( وفي الاثر عن علي رضي الله عنه:"أحبِبْ حَبيبَكَ هَوْنًا مَا، فَعَسَى أَنْ يكونَ بَغيضَكَ يَوْمًا مَا. وأبغِض بغيضَك هَوْنًا مَا، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا"[٢٢]

[٢٠] ينظر تفسير القرطبي (١٨/ ٥٩)

[٢١] ينظر تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٣٢٣)، تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٩/ ٢٠٧)

[٢٢] رواه الترمذي في السنن برقم (١٩٩٧) الصحيح أنه من قول علي رضي الله عنه وورد مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصح.

في قَولِه تعالى :**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** أنَّ الشَّخصَ قد يكونُ عدوًّا للهِ، ثُمَّ يصيرُ وليًّا للهِ، مُواليًا للهِ ورَسولِه والمؤمِنينَ؛ فهو سُبحانَه يَتوبُ على مَن تاب، ومَن لم يَتُبْ فإلى اللهِ إيابُه، وعليه حِسابُه. وعلى المؤمِنينَ أنْ يَفعَلوا معه ومع غيرِه ما أمَرَ اللهُ به ورَسولُه؛ مِن قَصْدِ نصيحتِهم، وإخراجِهم مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ،

في قَولِه تعالى :**{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ حَثٌّ على العَدلِ في كلِّ شيءٍ}** هذه وصيةِ اللهِ لبلمؤمنينَ أنْ يَستعمِلوا القِسطَ مع المشرِكين، فكيف حالِ من يَجترِئُ على ظُلمِ أخيهِ المسلمِ ! فإذا نَهَى عن الظُّلمِ في حقِّ المشركِ، فالنهي عن ظلم المسلم أعظم وأخطر.

قال الله تعالى :**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ}** التَّذييلُ بأنَّ اللهَ قَديرٌ يُشعِرُ بأنَّ تأليفَ القُلوبِ ومَودَّتَها إنَّما هو مِن قُدرةِ اللهِ تعالى وَحْدَه، كما بَيَّنَه قَولُه تعالى :لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] الأنفال: ٦٣ [.

- أبانت الآيتان أن للكفار من المسلمين موقفين: إما المسالمة وإما المعاداة، فيجوز برّهم وفعل الخير لهم، والحكم بينهم وبين غيرهم بالعدل..

جوازِ البِرِّ بيْنَ المشرِكينَ والمسلِمينَ، وإن كانت الموالاةُ مُنقَطِعةً.

جوازِ التَّصدُّقِ على أهلِ الذِّمَّةِ، دونَ أهلِ الحربِ، ووُجوبِ النَّفقةِ للأبِ الكافرِ الذِّمِّيِّ

ليس من الموالاة والمودة المنهي عنها للمشركين بِرَّهُم والإحسانَ إليهم، بل هو مِن الإحسانِ الَّذي يُحِبُّه ويَرضاه، وكتَبَه على كُلِّ شَيءٍ، وإنَّما المنهيُّ عنه تولِّي الكُفَّارِ، والإلقاءُ إليهم بالمودَّةِ ومبحتهم في الدين .

- الكافِرُ الَّذي لم يُنْهَ عن برِّه والإقساطِ إليه مَشروطٌ فيه عدَمُ القِتالِ في الدِّينِ، وعدمُ إخراجِ المؤمِنينَ مِن ديارِهم.

- صِلَةَ الرَّحِمِ لا تُعَدُّ مُوالاةً، بلِ الموالاةُ شَيءٌ والصِّلَةُ شيءٌ آخَرُ؛ ولهذا جَمَع اللهُ تعالى بيْنَ الصِّلَةِ وبيْنَ النَّهيِ عن اتِّخاذِ الوَلايةِ في سُورةٍ واحدةٍ؛ فعلى على الإنسانِ أنْ يَصِلَ رَحِمَه ولو كانوا كفَّارًا، لكنْ بدونِ مُوالاةٍ ومُناصَرةٍ ومُعاضَدةٍ على ما هم عليه مِن الكُفرِ، وكذلك يجوزُ أنْ يَدْعُوَهم إلى بَيتِه مثلًا، ومع ذلك يَنبغي أن يَحرِصَ على عَرْضِ الإسلامِ عليهم ونُصْحِهم وإرشادِهم؛ لعلَّ اللهَ أنْ يَهديَهم بسَبَبِه/

- إنَّ الصُّلحَ والمهادَنةَ لا يَلزَمُ منها محَبَّةٌ، ولا موالاةٌ، ولا موَدَّةٌ لأعداءِ الله

– الآيةُ مُساعِدةً على جوازِ التَّعامُلِ مع المشركين المسالِمينَ ومُبادَلتِهم مصلحةً بمَصلحةٍ، بشَرطِ عَدَمِ الميلِ بالقَلْبِ، ولو قيل بشَرطٍ آخَرَ، وهو: مع عَدَمِ وُجودِ تلك المصلحةِ عندَ المسلِمينَ أنفُسِهم، أي: إنَّ العالَمَ الإسلاميَّ يَتعاوَنُ أوَّلًا مع بَعْضِه، فإذا أعوَزَه أو بَعضَ دُوَلِه حاجةٌ عندَ غيرِ المسلمينَ مِمَّن لم يقاتِلوهم ولم يُظاهِروا عَدُوًّا على قِتالِهم؛ فلا مانِعَ مِن التَّعاوُنِ مع تلك الدَّولةِ في ذلك، وممَّا يؤَيِّدُ كُلَّ ما تقَدَّمَ عمَلِيًّا مُعامَلةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لليَهودِ

– استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر، وأجيب بأن الإذن في الشيء أو ترك النهي عنه، لا يدل على وجوبه، وإنما يدل على الإباحة فقط .

– من اتخذ الأولياء والأنصار من الذين قاتلوا المسلمين على الدين، وأخرجوهم من ديارهم وعاونوا على إخراجهم، فهو من الظلمة المستحقين للعقاب الشديد [٢٣] .

[٢٣] التفسير المنير، للزحيلي (١٣٦/٢٨– ١٣٧) .